بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

توزيع الثروة أو الناتج القومى كان المشكلة الأساسية فى علم الاقتصاد وفى النظم الاقتصادية على اختلاف أنواعها والتى فشلت جميعها فى تحقيق العدالة المستهدفة من نظرياتها .

فالرأسمالية تتمسك بنظرية التوزيع الشخصى للناتج القومى معتمدة على نظام الضرائب لتحقيق العدالة بين الناس لكنها فشلت فى ذلك فشلا ذريعا حتى لينادى اللورد كينز صاحب النظريات الرأسمالية المشهورة بضرورة البحث عن علاج آخر لهذا الفشل ويضرب المثل ببلده قائلا : « ان انجلترا منذ أواخر القرن التاسع عشر والى منتصف القرن العشرين حققت تقدما هائلا فى نظم الضرائب من حيث عدالة توزيع أعبائها على كل من الدخل والثروة وقد استحدث فى انجلترا من الضرائب على الايرادات والتركات ما كان جديرا أن يقرب بعض الناس من بعض . لكن هذا لم يحدث بالقدر الكافى .. ومع ذلك فان بعض الناس ينادى بمزيد من الضرائب لعل فى ذلك حلا للمشكلة ولكن يرد على ذلك بأن فداحة الضرائب تشجع على التهرب منها ومن ثم لا يعتبر هذا الحل فعالا بل لا يعتبر مأمون العاقبة من النواحى الاقتصادية والخلقية ويتعين البحث عن غيره[1] .

ولم يكن فشل النظم الاشتراكية بأقل فداحة من النظم الرأسمالية وقد شاهدنا فى العالم الاسلامى بعض التجارب الاشتراكية فى دول

---

(١) الاسلام دين الاشتراكية « مختارات الاذاعة المصرية » ص ١٥٩ .

مختلفة لم تجن منها الا مزيدا من الشقاء رغم الشعارات الخادعة التى رفعت لاقناع الناس بتحقيق « الكفاية والعدل » .

لكن الاسلام الذى لم يبن عدالته الاقتصادية على أسس مادية بحتة يقدم الحل الأمثل ليس فى عدالة التوزيع فقط بل فى كل مشاكل الانسان **« ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »**[٢] .

فهو بدءا يزاوج فى تعاليمه بين الأسس التشريعية ورقابة الضمير الانسانى مستثيرا فى هذا الضمير أقصى ما يمكن من يقظته الوجدانية: **« ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »**[٣] .

وهو يدعونا الى السمو اللائق بمنزلة الانسان الذى نفخ الله فيه من روحه وفضله على كثير من خلقه ورفعه عن درك الحيوان لتكون أهداف حياته وحوافزه أسمى من دوافع الحيوان وأعلى من المادية البحتة وليكون وجدانه هو دائما القوة المكملة للتكاليف الكفيلة بتنفيذها عن رضا واقبال .

ولتتأمل معى يا أخى قول الرسول ﷺ : « ثلاث من فعلهن ثقة بالله واحتسابا كان حقا على الله أن يعينه ويبارك له : من سعى فى فكاك رقبته ، ومن تزوج ، ومن أحيا أرضا مواتا » .

فى هذا الحديث يبدأ الرسول عليه الصلاة والسلام بالحرية .. بتحرير العبيد لأن الاسلام يريد مجتمع أحرار لا يذل لأصنام المال أو الشهوات أو المخلوقات .. لأن الانسان الحر أقدر على الانتاج من العبد وله من حوافز الانتاج ما لا يتوافر للعبيد أو تروس الآلات .

ثم يدعو المسلمين لبناء الأسرة لبنة المجتمع حتى يتكون المجتمع السليم النظيف الذى لا تدنسه الانحرافات والأهواء والفساد وهذا هدف أى نظام اقتصادى فى الحياة .

وأخيرا يطلب منا جميعا أن نعمل .. أن ننتج فلا نترك أرضا ميتة

---

(٢) الملك : ١٤ . (٣) سورة ق : ٣٧ .

بغير احياء ولا رزقا مما بثه الله فى الأرض بدون استغلال واستفادة منه لبناء الدولة المسلمة ..

اذن فالعمل هو أساس الاقتصاد الاسلامى ، ويرفض الاسلام أن يعيش انسان بلا عمل — الا لعجز — عالة على كد وتعب الآخرين .

لكن المولى عز وجل يقول مخاطبا آدم عليه السلام بعد أن طرد ابليس من الجنة **« ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى »**(٤) .

فيحدد بذلك الضرورات الأولية للحياة الآدمية من مأكل وملبس ومسكن يقى صاحبه تقلبات الأجواء ويحفظ عليه آدميته ...

هذه الضرورات أو الحد الأدنى للحاجات البشرية هى التى كلف الاسلام الدولة برعايتها والتحقق من وجودها لكل فرد من رعاياها حتى تستطيع عندئذ أن تقيم حدود الاسلام على الخارجين عليها وقد سماها « حد الغنى » ويسميها علماء العصر « حد الكفاية » .

وفى تحقيق هذه « الكفاية » لأفراد المجتمع كله تكمن فلسفة الاسلام فى عدالة التوزيع الذى حدد له الاسلام ثلاث ركائز :

أولها : العمل وهو فريضة اسلامية بنصوص القرآن والسنة وبه يوجد الانتاج والثروة القومية .

وثانيتها : الحاجة التى فرض الاسلام على الأمة كفالتها لكل رعاياها وحددتها آيات سورة طه التى ذكرناها .

أما الثالثة : فهى الملكية وهى ناتج عمل العامل أو عمل من ورثه .

---

(٤) طه : ١١٨ ، ١١٩ .

نسألُ الله تعالى العون والتوفيق فى بيان هذه الركائز الثلاث وسبيل الاسلام لتحقيق عدالة توزيع الثروة على هذه الأرض .. انه نعم الموفق والمعين .

المعـــادى فى ١٤/٩/١٩٨٥

عبد السميع المصرى

* * *